

قضايا الإصلاح الاقتصادي

ريادية الأعمال في الهند:

التطور خارج إطار الأعراف والتقاليد

بقلم: تشاندريما بادمنابهان

المقال في كلمات :

- ريادية الأعمال ذات أهمية حاسمة لتعزيز بيئة أعمال صحية ومواتية، مع حوكمة ديمقراطية قوية.
- رياديو الأعمال الناجحون في الهند الذين يتحدون النظام الطائفي، والتميز الاجتماعي، هم في حقيقة الأمر نماذج ملهمة للشباب.
- القطاع الخاص يوفر للمواطنين أسعاراً أقل، ويرفع معدلات المنافسة، ويعزز مؤسسات السوق.



الفساد في الكيانات التي تديرها الدولة، حيث تمتلك الحكومة أغلبية أصول الشركات، ولا يتم تدارك بعض من هذا الفساد إلا عندما يتسم الأداء بحساسية سياسية. وستصبح ريادية الأعمال هي إجابتنا للتغلب على عدم المساواة في الفرص، حيث السؤال السائد والأهم لا يتعلق بما تستطيع فعله، وإنما بمن تعرف؟.. ويمكن أن تسهم مبادرات ريادية الأعمال بالحفاظ على أسواق نزيهة، والتعبئة الواجبة لما يمكن اعتباره مستودع المواهب المهدرة، والاحتفاء بها.

إن اقتصادنا سيستفيد استفادة كبيرة من الخصخصة، حيث ما زالت قبضة الحكومة ممسكة بقوة على قطاعات البريد والسكك الحديدية والدواء والنفط(1). وما زالت الأسعار تتحدد أساساً عن طريق الجهات المنظمة التابعة للحكومة، وهناك نقص في الكفاءة يمكن أن تعوضه منافسة السوق الحرة، فباستطاعة القطاع الخاص تقديم المزيد للمواطنين عن طريق تشجيع المنافسة الشريفة، مما يعني أسعاراً أقل، واختيارات أكثر، وجودة أكبر، وبيروقراطية حكومية أقل(2)، كما يمكن أن يوفر فرصاً أكثر أمام الشعب. فالبطالة هي العامل الأكبر وراء انتشار الجريمة في بلدنا، ويمكن تخفيف حدة الجوع والمرض والديون، بتوفير بدائل أكثر إيجابية أمام الذين يمارسون النشاط الإجرامي. غير أن الهند ليست البلد الوحيد المبتلى بهذه المشاكل، فكثير من البلدان العربية -على سبيل المثال- تعاني من نفس المشاكل. ولا يعود هذا إلى نقص في الثروة أو الموارد، إنما يعود إلى النقص في فرص الاستثمار، فبينما تنمو إيرادات بلدان في الشرق الأوسط نمواً متواصلاً، فإن رفاهية المواطن العربي العادي لم تتم بنفس المعدل. ف"محمد بوعزيزي" بائع الفواكه الجوال من تونس، والذي أثارت مأساته المزيد من أحداث الربيع العربي، كان مطلوباً منه أن يسدد مبلغاً يعادل 12 ضعف دخله

حاز هذا المقال على الجائزة الأولى في المسابقة العالمية لمقالات الشباب عن عام 2012

تُعد "ريادية الأعمال"، و"الديمقراطية"، من الكلمات غير المألوفة في الهند. بالطبع هناك قصص نجاح، لكنها قليلة ومتناثرة بالنسبة لبلد يبلغ تعداد سكانه 1.2 مليار نسمة. ويعلمنا العيش في هذا البلد -الذي يُفترض أنه الديمقراطية الأكبر في العالم- أن الحق في الاختيار على أساس العصبية العائلية، أو التحيزات الإقليمية، لا يجعلك جزءاً من الديمقراطية التي حارب في سبيل تحقيقها مقاتلونا من أجل الحرية. فمارلنا محكومين بمفهوم "خاب بانتشياتس" (Khap Panchayats)، أو بواسطة العائلات التي تعتقد أنه لا يمكن اعتبار أبنائهم ناجحين إلا إذا حصلوا على وظيفة في مجالي الهندسة أو تكنولوجيا المعلومات. فلا يمكن لريادية الأعمال أن تزدهر في بيئة تتحكم فيها الديمقراطية الهندية، حيث لا يسمح بالفرص المتساوية بين الأفراد من خلفيات اجتماعية وتعليمية مختلفة، علاوة على حرمان المرأة من الحصول على فرص متساوية، ففي كثير من الأسر يكون السؤال الأكثر شيوعاً للفتاة المتخرجة حديثاً: "ما هي خططك للزواج؟".

ففي مجال الهندسة المعمارية، نتساءل غالباً عما إذا كان بناء ما يمثل انعكاساً لرؤية المعماري ومثله، أم أن هذا البناء يمكن أن يعدل طريقتنا في التفكير والحياة. وعلى المنوال نفسه، فإن السؤال الذي يجب أن نسأله: هل نحن أسرى الأنماط الاجتماعية، أم بإمكاننا إعادة تشكيل المجتمع؟.. بالإمكان أن نعزو نقص فرص ريادية الأعمال إلى الطبيعة غير الديمقراطية لمبادئنا، لكن هل يمكن أن نستخدم كل فرصة متاحة لإضفاء الطابع الديمقراطي على مجتمعنا من خلال ريادية الأعمال؟.. سيكون ردنا على هذا السؤال، أن ريادية الأعمال هي السبيل لمحاربة

أصبح اسم "بريم جناباثي" معروفاً تماماً في شوارع "تشيناى" (Chennai) -المعروفة بـ"مدراس"، وهي عاصمة ولاية "تاميل نادو" الهندية- عند كل الطبقات الاجتماعية. وأصبح الآن سكان قريته البسيطة "توتيكورين" (Tuticorin) يشيرون بفخر إلى المدرسة التي تعلم فيها. ويخبرونك بأن أبناءهم أيضاً يلتحقون بنفس المدرسة. ومن المتعارف عليه في كثير من القرى، قيام أطفال الفئات الأكثر فقراً بالأعمال البدنية، مما يؤدي إلى حرمانهم من التعليم. لكن الآباء الآن، عندما يفتخرون بإرسال أبنائهم للمدارس، أملين أن يصنع أبنائهم ما عجزوا هم عن تحقيقه، فهذه خطوة في تاريخ بلدنا أكبر من مجرد قصة "دوسا بلازا".

فمن خلال تحدي النظام الطائفي، تأتي قصة نجاح "بريم جناباثي" لتتحدى الأوضاع القائمة. غير أن قصص نجاح مثل قصة "بريم" نادرة في الهند، والأكثر ندرة بالطبع قصص النساء اللاتي ينجحن في صعود سلم النجاح الاقتصادي. فمن الصعب جداً أن تتجح رياديات الأعمال في الهند، خاصة فيما يتعلق بحصول النساء على التمويل لإنشاء مشروعاتهن الخاصة، حيث يواجهن الكثير من التشكيك في قدراتهن، وعدم الاهتمام.

ولنأخذ مثلاً قصة "سونيتا رامناثكار" (Sunita Ramnathkar)، التي فعلت ما تتوقعه معظم العائلات أن تفعله كل فتاة. فقد أنهت تعليمها وتزوجت رجلاً من عائلة ميسورة عندما كان عمرها 21 عاماً، وسرعان ما أنجبت طفلة، وحصلت على كل المزايا المتوقعة في عائلة سعيدة، لكن كان داخلها دافعاً قوياً لأن تفعل شيئاً ما للاستفادة من وقتها. فقد أرادت أن تدير مشروعها الخاص، وسلكت في سبيل ذلك أكثر الطرق الممكنة استقامة، بحثت "سونيتا" أولاً عن شيء تود استخدامه، ولم يكن متاحاً. تلك كانت بدايتها التي أدت إلى أكبر شركة محلية للعناية بالبشرة، وهي شركة "فيم" (Fem)، التي بدأت أعمالها بتطوير

الشهري الصافي، وأن يمر بإجراءات إدارية مدتها 142 يوماً حتى ينضم للاقتصاد الرسمي(3).

وبالرغم من كل تلك العقابيل، فقد كان هناك على الدوام أناس تحدوا الوضع القائم، وشاركوا بدور رائد في تغيير الأفكار السائدة، وأظهروا إيماناً وقدرة على البقاء. وربما كان النموذج الأكثر إلهاماً في الهند يتمثل في "حركة دوسا بلازا" (Dosa Plaza Movement)، حيث تجسد قصة "بريم جناباثي" (Prem Ganapathy) النجاح الباهر الذي حققه، فمن عامل لغسل الصحون، إلى امتلاك سلسلة "دوسا بلازا" للوجبات السريعة -ذات الـ25 فرعاً- في بلد يسوده الاعتقاد بأن مهنتك تتحدد حسب العائلة التي ولدت فيها(4). ولكن "جناباثي" رفض أن يسمح لأحد بأن يسحقه، حتى عندما أبلغه صاحب المطعم الذي كان يغسل الصحون به، بأنه ممنوع من الاقتراب من موائد الزبائن لأن الهنود الجنوبيين لا يحصلون على وظائف إلا في خلفية المطعم، لكنه ناضل ليحقق حلمًا يتردد الكثيرون منا في أن يحلموا به(5). لكن هذا لا يتحقق إلا إذا بحثنا بشكل متواصل عن فرص لإثبات هممتنا. وقد جاءت هذه الفرصة لـ"جناباثي" عندما تم افتتاح مطعم جديد في الحي الذي يقطنه، وحصل على وظيفة العامل الذي يقدم الشاي، لكنه ترقى سريعاً عندما ظهرت مواهبه الشخصية، المتمثلة في التواصل الإيجابي مع كل الزبائن. وإذا كان التواصل الجيد لا يحظى بالتقدير المناسب عند البعض، فقد حول حياة "بريم" تماماً، فبعد الإكراميات التي كان يحصل عليها، حصل على وظيفة منحها له أحد زبائن المطعم لإدارة محل يملكه. وبعد هذا المحل، كانت "دوسا بلازا"، التي سوّق لها عبر الإنترنت، ثم افتتح فروعاً متعددة لها، ثم بدأ في منح حقوق الامتياز لـ"دوسا"، وهكذا نمت أنشطة مشروعه حتى صار اسمه معروفاً(6).

الهوامش:

1 Kumar, Ram. "State owned Enterprises in India: Reviewing the Evidence", Organisation for Economic Cooperation and Development, 26 January 2009, <http://www.oecd.org/corporate/ca/corporategovernanceofstate-ownedenterprises/42095406.pdf>

2 "Privatising State-owned Enterprises", Organisation for Economic Co-operation and Development, 2003, http://www.apec.org.au/docs/10_TP_PFI%204/Privatising%20SOEs.pdf

3 De Soto, Hernando. "The Real Mohamed Bouazizi", Foreign Policy Magazine, 16 December 2011, http://www.foreignpolicy.com/articles/201116/12/the_real_mohamed_bouazizi?page=0,2

4 Bansal, Rashmi. Connect the Dots. New Delhi: IIM publishers, 2010.

5 Ibid.

6 Ibid.

7 Ibid.

تشاندرريما بادمنابهان: حصلت على بكالوريوس العمارة من معهد العمارة والتخطيط في تشيناي، وهي تعمل حالياً لشركة هندية في مجال العمارة. وقد عاشت معظم سنواتها الأولى في دولتي الإمارات العربية والبحرين. كانت تقرأ بنهم إلى جانب دراسة العمارة والتصميم الحضري في الجامعة، وقد نالت جائزة الصحافة المعمارية من المؤتمر الوطني السنوي لطلاب العمارة عامي 2009 و2010. كما حصلت على جائزة الصحافة المعمارية من المؤتمر السنوي لمعهد التكنولوجيا الهندية عام 2010. وهي تسهم بمقالات غير منتظمة في الصفحات المعمارية على الإنترنت.

أول كريم هندي لتبييض البشرة. فبالتعاون مع شقيقها المهندس الكيماوي ابتكرا مركبات، واستوردا المواد الخام من الخارج، وأجريا تجارب الاستخدام على مدى عامين قبل أن يولد الكريم الشهير باسم "فيم". كما قامت بتقديم عروض حية في أماكن مختلفة، حيث يتجمع الناس، وازدادت شعبيتها بفضل مهارتها في التواصل(7). ونتيجة عزيمتها القوية ومثابرتها، أصبح اسمها متداولاً مصحوباً بقدرتها على إدارة مشروع ناجح. إلى جانب نجاحها الأسري، فضلاً عن جرأتها في تحدي الأعراف المستقرة. وعلى الرغم من أن بلدنا ما زال بعيداً عن السماح للنساء بالحصول على فرص متساوية، لكن "سونيتا" غيرت القليل من هذه الأعراف الظالمة. ومن خلال المحاضرات الكثيرة التي تلقيها على طلاب الجامعات، تمنح حافزاً للاندفاع وتحدي القيود القائمة على حركة النساء.

ربما كان كل من "جناباثي"، و"سونيتا"، من المبتكرين في نطاق ضيق، لكننا إزاء قصص نجاح مهمة لتطور ريادية الأعمال في الهند. وهي القصص التي تعلمنا أن المؤهلات المهنية أو الشخصية تمثل مكوناً واحداً من مكونات النجاح، إذ يعد خلق الفرص الاقتصادية أمراً حاسماً لتعظيم طاقات الفرد. وتنطبق هذه الفلسفة أيضاً على الحوكمة، وتصبح الديمقراطية حقيقة "بمشاركة الشعب". أما إذا غرق بلدنا تحت سطوة الأعراف والتقاليد، فإن هذا يرجع إلى أن مواطني هذا البلد لم يتوصلوا بعد إلى خطأ هذا النهج. لقد استسلمنا للضغوط اليومية للأعراف والتقاليد، وقد حان الوقت للاضطلاع بالمسؤولية.

يعمل مركز المشروعات الدولية الخاصة "CIPE" على تعزيز الديمقراطية حول العالم، من خلال الإصلاح الاقتصادي الموجه للسوق. المركز جزء من غرفة التجارة الأمريكية في العاصمة واشنطن، ولا يهدف لتحقيق الربح. وهو أحد أربعة معاهد للصندوق الوطني للديمقراطية. وقد دعم المركز ألف مبادرة محلية في أكثر من مائة دولة نامية، تعامل فيها -على مدى 25 عامًا- مع قادة الأعمال، وصناع القرار، والصحفيين، لبناء المؤسسات المدنية الأساسية للمجتمع الديمقراطي. ومن القضايا الأساسية التي يتعرض لها المركز، مكافحة الفساد، والمشاركة في السياسات، وجمعيات الأعمال، وحوكمة الشركات، والحوكمة الديمقراطية، وإتاحة الوصول للمعلومات، والقطاع غير الرسمي، وحقوق الملكية، وحقوق المرأة والشباب.

الآراء الواردة بالمقال تعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا تعكس بالضرورة رؤية مركز المشروعات الدولية الخاصة. ويسمح المركز بإعادة طباعة المقالات الواردة في سلسلة قضايا الإصلاح، و/أو ترجمتها، و/أو نشر المقالات الأصلية، بشرط:

- نسبة المقال إلى كاتبه الأصلي، وإلى مركز المشروعات الدولية الخاصة.

- إخطار مركز المشروعات الدولية الخاصة بموضوع نشر المقال وإرسال نسخة منه إلى مكتب المركز في واشنطن.

سلسلة "قضايا الإصلاح الاقتصادي": خدمة على الإنترنت يقدمها مركز المشروعات الدولية الخاصة لنشر للمقالات الإلكترونية. تطرح تلك الخدمة مقالات معمقة موجهة إلى شبكة من صناع السياسات، وقادة الأعمال، والإصلاحيين المدنيين، والأكاديميين، وغيرهم من المهتمين بالقضايا ذات الصلة بالإصلاح الاقتصادي وعلاقته بتنمية الديمقراطية.

ترسل المقالات بالبريد الإلكتروني، ويتم نشرها على الموقع. فلو أردت الاشتراك، مجاناً، نرجو أن تشترك في شبكة مركز المشروعات الدولية الخاصة، وذلك بإدخال بريدك الإلكتروني في الموقع:

www.cipe.org أو www.cipe-arabia.org

يرحب المركز بالمقالات التي يقدمها القراء. على أن تتراوح عدد كلمات المقال ما بين 1000 إلى 3000 كلمة، وسوف يُنظر فقط إلى المقالات ذات الصلة برسالة المركز المتمثلة في بناء مؤسسات ديمقراطية تخضع للمساءلة من خلال إصلاحات تعتمد على السوق، وذلك على أساس قيمة المقال.